الفصل الثالث: اللغة كآلية للتكيف الاجتماعي

تمهيد

1 -التواصل

1-1- مفهوم الاتصال والتواصل

1-2- عناصر عملية الاتصال والتواصل

1-3- اللغة المنطوقة كوسيلة اتصال تعليمية

1-4- أهمية عملية التواصل

1-5- أنواع التواصل

1-6- مهارات تزيد من فاعلية عملية التواصل

2- اللغة

2-1 - ماهية اللغة

2-2 خصائص اللغة

2-3- الفرق بين اللغة واللهجة

2-4- اللغة والهوية

2-5- اللغة والثقافة

2-6- اللغة والتواصل

2-7- أدوار اللغة في الحياة الإنسانية

2-8- وظائف اللغة

2-9- وظائف اللغة

2-10- اللغات عبر العالم

2-11- اللغة الفرنسية في أفريقيا وضعفها

2 -12- اللغة العربية والاستعمار الفرنسي في الجزائر

2-13- تدني مستوي التلاميذ في اللغات الأجنبية

2-14-أهمية تعلم اللغات الأجنبية

خلاصة الفصل

تمهيد:

من آيات الله عز وجل، اختلاف الناس بوجه عام، واختلاف ألسنتهم وألوانهم بشكل خاص، وهذه الحقيقة قائمة في كل زمان ومكان، ولما كان الإنسان مدنيا بطبعه، فقد كان لابد له من التفاهم مع الذين يشاركونه في المكان والزمان، ومن هنا كانت **اللغة** الواحدة قرينة المجتمع الواحد، وواحدا من أبرز العناصر المكونة له، غير أن تشتت الجنس البشري على سطح الأرض، واختلاف البيئات أدّيا إلى تباين اللغات واختلافها بنسب متفاوتة.

والتواصل بين المجموعات البشرية لم ينقطع على مر الزمن، ولكنه في العصر الحاضر أكثر وأعرض وأعمق، وذلك بفضل ما توصلت له الحضارة من أسباب التقدم والرقي، مما يعني أن الإنسان يجد نفسه مضطرا بين حين وآخر إلى التفاهم مع الآخرين بغير لغته، ومن هنا كان تعلم اللغات وفن الترجمة.[1] ومما تجدر الإشارة إليه أن معرفة الإطار المرجعي للآخرين في أثناء تبادل الحديث معهم أمر في غاية الأهمية، ولذا نحن نجد أنفسنا أقدر على فهم أصدقائنا والتجاوب معهم أكثر من فهمنا للغرباء لأن الخبرة المشتركة تؤدي إلى سهولة حل الشفرات المستخدمة.

ونظرا لارتباط اللغة الواحدة **ببيئة** بعينها، **وبمجتمع معيّن**، فإنها ستكتسب مع مرور الزمن خاصية عميقة الأثر في الناطقين بها، فلا تكون المفردات لدلالاتها المعجمية وحسب، وإنما تنطوي على إشارات معنوية خاصة ترتبط بتاريخ الأمة وثقافتها، مما يكسبها عمقا ونكهة خاصة. مما لاشك فيه أن عمليات التأثير والتأثر والتفاعل الاجتماعي تقوم على عملية الاتصال، وعملية الاتصال هذه تقوم على أساس اللغة، حيث تعتبر اللغة من أهم وسائل الاتصال التي يستخدمها الإنسان في التفاعل مع غيره من بني جنسه ومشاركتهم خبراتهم. وقد

[1]- يحي عثمان جابر: **دور اللغة في التعاون وفي التقريب بين الشعوب**، **مدونة النجاح 3 فيفري 2009**
http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-31

أدت مشاركة الغير في خبراتهم والتفاهم معهم باستخدام اللغة إلى قيام مجتمعات، لكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره.

1. التواصل

1-1 مفهوم الاتصال والتواصل:

1-1-1 مفهوم الاتصال:

كلمة **الاتصال** communication مشتقة من الكلمة اللاتينية Communis، والانجليزية Common، وبالفرنسية Commun أي عام ومشترك[1]، أي أنه اشتراك مع الغير سواء كان شخصا أو مجموعة أشخاص، في المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات.[2]

وفي اللغة العربية لفظ اتصال من فعل اتصل يتصل اتصالاً الشيء بالشيء، أي التصق به، ويأخذ معنى عام وهو:" نقول تبادل الأفكار والمعلومات وغيرها بين الأفراد، ويكون عادة عن طريق **اللغة**.

ينظر **تشارلز كولي** إلى معنى الاتصال من خلال طبيعة عملية الاتصال بوصفه نشاطا إنسانيا على أنه " الآلية اتي توجد فيها العلاقات الإنسانية وتنمو، عن طريق استعمال الرموز ووسائل نقلها وحفظها". ويركز **تشارلز** من جانبه على كيفية حدوث النشاط الاتصالي بوصفه نشاطا عقليا، إذ يقول:" يحدث الاتصال حين يؤثر عقل في عقل آخر، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث خبرة مشابهة في عقل المتلقي لتلك التي حدثت في عقل المرسل، ونتجت بشكل جزئي".

أما **كارل هوفلاند** فيرى إن عملية الاتصال هي استخدام منبهات تؤثر في سلوك المتلقين، فيعرف الاتصال على أنه:" **عملية يقدم خلالها القائم بالاتصال منبهات تعدل سلوك الآخرين**".

---

[1]– إبراهيم عبد العزيز شيحة، أصول الإدارة العامة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط4، الإسكندرية، 2000، ص 26.

[2]– أبو النجا محمد العمري، الاتصال في الخدمة الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية، ط3، الإسكندرية ، 1999، ص 14.

ويتوسع **تشارلز موريس** في تعريف الاتصال ليعني به البيئة الاتصالية الإنسانية، فيقول واصفا إياه بأنه " **ظرف تتوافر فيه مشاركة عدد من الأفراد في أمر معين**".

ويعرفه **مارتن أندرسون** بأنه :" **العملية التي من خلالها نفهم الآخرين ويفهموننا ...وهو الطريق التي يتم بواسطتها انتقال المعرفة من طرف لآخر حتى تصبح مشاعا وتؤدي إلى التفاهم بينهما**[1]

1-1-2 مفهوم التواصل:

لقد تناول كثير من العلماء **مفهوم التواصل**، ففي مجال علم النفس التواصل هو القوة الديناميكية في العلاقة المتبادلة بين أعضاء الجماعة وأدائهم واتجاهاتهم.

وفي معجم العلوم السلوكية هو "انتقال أو استقبال الإشارات أو الرسائل بين الأفراد". وينظر إليه علماء الاجتماع باعتبار أن التواصل ظاهرة اجتماعية وقوة رابطة لها دورها في تماسك المجتمع وبناء العلاقات الاجتماعية.

- ويعرف التواصل بصفة عامة بأنه:" أي تفاعل يترتب عليه تبادل المعلومات ويتطلب هذا التفاعل تبادل الأدوار بين مرسل ومستقبل سواء بنقل هذه المعلومات أو الاستجابة لها".

إذن التواصل الاجتماعي هو: عملية يتبادل خلالها الأفراد الإرسال والاستقبال للآراء والأفكار والمشاعر والرغبات باستخدام رموز متفق عليها دلالتها فيما بينهم سواء كانت رموز منطوقة (تواصل لفظي) أو غير منطوقة (تواصل غير لفظي)، كالكتابة ولغة الجسد وتعبيرات الوجهة والإشارات وكافة الوسائل التي تحقق نقل الرسالة. [2]

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نتفق على وجود خمسة عناصر أساسية للتواصل.

---

[1]- حارث عبود، نرجس حمدي : الاتصال التربوي، دار وائل، ط 1، الأردن، 2009 ، ص 31.

[2]- عبير محمد علي عبد السلام، مهارات التواصل الاجتماعي، ب ن، ب.ط، ب س، ص 1.

1-2 عناصر عملية الاتصال والتواصل:

1-2-1 عناصر عملية الاتصال :

تجمع مراجع الأدب النظري في ميدان علوم الاتصال على تحديد ستة عناصر تشترك في تشكيل العملية الاتصالية أو الموقف الاتصالي، وهي:

- المرسل، أو القائم بالاتصال، ويسمى أيضا مصدر الاتصال.
- الرسالة، أو محتوى الخطاب المرسل إلى المتلقي.
- الوسيلة، أو الوسيط أو الأداة التي تستخدم لإيصال الرسالة إلى المرسل إليه.
- المرسل إليه، أو المتلقي الذي تستهدفه عملية الاتصال.
- بيئة الاتصال، أو الموقف الاتصالي الذي تجري فيه عملية الاتصال.
- التغذية الراجعة، أو رجع الصدى الذي ينشأ من عملية الاتصال.

*هذه العناصر الستة تتفاعل فيما بينها على نحو بالغ التعقيد والعمق والتشعب، بحيث تصعب الإحاطة بكيفيات هذا التفاعل وآلياته ومستوياته بصورة كاملة ودقيقة. وهو ما يفسر غزارة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع على مدى العقود المنصرمة من القرن الماضي على وجه الخصوص. وتتلخص عملية الاتصال بصورتها الأولية البسيطة بقيام المرسل بتوجيه رسالة إلى المرسل إليه، مستخدما وسيلة مناسبة لذلك، في ظل ظرف محدد المواصفات، وتلقي ما يصدر بعد ذلك من رد فعل من المرسل إليه نتيجة تعرضه للرسالة المذكورة.[1]

1-2-2 عناصر عملية التواصل :

- **مرسل:** لا بد من توافر خصائص تزيد من فاعلية المرسل وهي:

[1] – حارث عبود، نرجس حمدي : مرجع سابق ص 31-32.

- المصداقية (الموضوعية في الطرح – الصدق في عرض المعلومة).
- الجاذبية (لديه مهارات تمكنه من التعبير عن أفكاره وتزيد من قدرته على استمالة المتلقي).
- **التأثير:** (الوضوح – تحديد الهدف – الخبرة والكفاءة – استخدام اللغة المناسبة لكل شخص).
- **رسالة:** تترجم أهداف المرسل، والرسالة إما أن تكون:

– لفظية (كلمات منطوقة).

– غير لفظية (كلمات مكتوبة، إشارات تعبيرية، حركات جسدية، إيماءات توضيحية).

- **الوسيلـة:**

– عن طريقها يستطيع المرسل من إيصال الرسالة للمستقبل.

– تختلف وفقاً للهدف من الرسالة وطبيعة المستقبل للرسالة.

- تتأثر بيئية التواصل التي تشمل:

– بيئة خارجية المحيط المادي الذي يحدث فيه التواصل.

– بيئة داخلية لحظة الاتصال مع الآخر وهناك عوامل عاطفية وعقلية وانفعالية تؤثر في كل منهما.

- **المستقبل:**

– يستقبل الرسالة من المرسل ويقوم بفك رموزها ومعرفة محتواها وفهمها.

– تكون عملية الاتصال ناجحة عندما يكون هناك تطابق في استيعاب الرسالة بين المرسل والمستقبل.[1]

[1]– حارث عبود، نرجس حمدي : مرجع سابق ص 32.

- **الأثر أو النتيجة:**

هو نوعية التأثير الذي أحدثته الرسالة لدى المستقبل على فاعلية الاتصال، بمعنى قياس مدى نجاح أو فشل الرسالة بغرض تعديلها إذا لزم الأمر

1-3- اللغة المنطوقة كوسيلة اتصال تعليمية:

تعد اللغة المنطوقة الوسيلة الاتصالية الأساسية حتى الآن المستخدمة في إيصال المعاني والخبرات المعرفية والوجدانية والمهارية في معظم المواقف التعليمية، وقد اعتمد عليها التعليم منذ عرف الإنسان تشكيل الكلمات من الأصوات، ووضعها في سياق ذي معنى فنشأت **اللغة المنطوقة.** ذلك أنها أيسر وسيلة متاحة في تأمين الاتصال بين طرفي العملية التعليمية وأقلها كلفة.

وينصح المعلم عند استخدام اللغة المنطوقة أن يتبسط في صياغة تراكيبها، ويبتعد عن مفرداتها الغريبة والصعبة، وأن يؤكد على وضوح معانيها لمستمعيها، ومناسبتها لقدراتهم اللغوية والعمرية، وعدم الإسهاب في الكلام،.. وأن تكون فصيحة مبسطة قدر المستطاع .لا لهجة دارجة.[1]

1-4- أهمية عملية التواصل:

- يستطيع الفرد إشباع حاجاته الأساسية البيولوجية والنفسية من خلال عملية التواصل.
- يستطيع الفرد تحقيق مشاعر الانتماء لجماعة ما أو لمجتمع ما.
- تمكن عملية التواصل الفرد من تحقيق ذاته وتأكيدها في تفاعله مع الآخرين.

[1] - حارث عبود، نرجس حمدي : مرجع سابق ص 227-228.

- يؤدي نجاح الفرد في التواصل مع المجتمع المحيط به إلى تخفيف توتر الفرد وإلى انسجامه مع المحيطين به في إطار العلاقات الاجتماعية.
- الاهتمام بعملية التواصل وتعلم مهاراتها تعد أهم أحد المتطلبات الأساسية لتحقيق النمو الشخصي والمهني للفرد.

1-5- أنواع التواصل:

وقد تم تصنيف التواصل إلى نوعين هما التواصل اللفظي والتواصل الغير لفظي.

1-5-1 التواصل اللفظي:

يتم عن طريق **اللغة** وله أهمية كبيرة لأن اللغة تنظم عملية التواصل وتحدد نوع العلاقة بين المرسل والمستقبل، وهي وسيلة لنقل المعلومات والأفكار والخبرات.

***أهمية اللغة اللفظية:**

- **اللغة اللفظية** هي التي تصنع الفكر وهي أساس التواصل والتفكير والتخطيط.
- لقد أمكن بواسطة اللغة تسجيل الجزء الأعظم من التراث الإنساني وتعلم للحاضر والأجيال المقبلة.
- يعتبر استخدام الألفاظ وسيلة اقتصادية للتعبير عن الأفكار.
- تعتبر اللغة أداه اجتماعية تساعد على التفكير وهي أداة لتسجيل الأفكار.
- تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي وتبرز أهمية اللغة باعتبار الإنسان كائن اجتماعي.

1-5-2 التواصل غير اللفظي:

وسيلة لتوضيح أو تأكيد الرسالة اللفظية، وتكمن أهمية التواصل غير اللفظي في استخدم الأفراد له وذلك من خلال:

- الكلمات لها قيود فهناك مواقف متعددة يكون فيها التواصل غير اللفظي أكثر فاعلية. - الإشارة غير اللفظية قوية لأنها تعبر في المقام الأول عن المشاعر الداخلية أما اللفظية فتعبر عن العالم الخارجي.

- الرسائل غير اللفظية تكون حقيقية وغير زائفة لأن التعبيرات غير اللفظية لا يمكن التحكم فيها بسهولة مثل الكلمات المنطوقة، فالرسائل التي يتم إرسالها من شخص لأخر تكون نسبة الكلمات فيها لا تتعدى **7%** والباقي عبارة عن تعبيرات غير لفظية.

- التعبيرات غير اللفظية أكثر ثباتاً بالذاكرة لأنها ترى بالعين والحواس الأخرى.

وجدير بالذكر أن نجاح وفاعلية عملية التواصل تعتمد على الجانبين معاً اللفظي وغير اللفظي فكل منهما يكمل الآخر.

1-6- أهمية التواصل مع الآخرين:

فوائد التواصل والاتصال مع الآخرين للتواصل مع الناس فائدة كبيرة وأهمية عظيمة، فهو الذي يجب أن تكون أولوية من أولويات كل إنسان، ذلك أن التواصل مع الآخرين يتمتع بالمزايا والفوائد التالية: يكتسب الفرد خبرة جيدة في الحياة ويعرف معادن الناس بشكل يمكّنه من التعامل مع مستجدات الأمور التي تطرأ عليه خلال حياته. يمكّن الإنسان من خلال تواصله مع الناس أن يكوّن علاقات اجتماعية تكون سنداً له خلال مسيرته الحياتية. يمكن للفرد أن يستشعر بحب الناس له، الأمر الذي يعطي للنفس طاقة عجيبة من نوعها تكون دافعاً له لإكمال طريقه والوصول إلى ما يطمح إليه. يفيد في عملية تطوير شخصية الإنسان واكتساب مهارات التحدث والنقاش مع مختلف أصناف الناس. مكسباً حقيقياً لكل من لديه فائض كبير من الإنسانية، فمعرفة أحوال الناس وكيف يقضون أوقاتهم وكيف يصمدون أمام ما يواجههم من تحديات يعطي الإنسان أملاً كبيراً، ودافعاً للعيش على الأقل لمساعدة المحتاجين منهم. كفيل

بأن يذهب الهم والغم عن الإنسان، حيث يجعل الإنسان يبدو بحالة أفضل خاصة إذا ما فرّغ ما بداخله، لكن لمن يثق بهم فقط وليس لأي شخص. يهذب الإنسان ويكسبه الكياسة واللباقة في الحديث، ممّا يحبّب إليه الجميع، ويجعله مرغوباً ومحبوباً من كل من يراه. يجعل الإنسان يقبل على الله أكثر، فالتواصل مع الناس وإجراء الحديث معهم، خاصة أولئك الذين حباهم الله تعالى بالعقول الجميلة القادرة على إدخال مفاهيم الجمال وحب الله تعالى قلوب من يحدثونهم. يُوسِّع آفاق الإنسان، حيث يمكنه زيادة إبداعاته وتحسين تطلعاته وأشواقه، إذ إنّ التواصل بإمكانه أن يكسب الإنسان القدرة على التفكير بشكل أفضل وبالتالي الوصول إلى أفكار خلاقة ومبدعة تساعده على انتشال نفسه ومجتمعه وأمته مما أصابهم جميعاً من المشاكل[1].

1- 5 مهارات تزيد من فاعلية عملية التواصل:

1-5-1 مهارة الاستماع الفعال:

وتعد وصفة أخلاقية ومهارة ضرورية لزيادة فاعلية عملية التواصل، ففي حياتنا ومنذ نشأتنا نتعلم كيف نتصل مع الآخرين بالوسائل المتعددة: الحديث – الكتابة – القراءة، لكن هناك وسيلة اتصالية مهمة لم نعرها ما يجب من اهتمام مع أنها من أهم الوسائل الاتصالية ألا وهي "الاستماع".

يعتمد كل إنسان في حياته على هذه الوسائل الاتصالية الأربعة (الحديث – الكتابة – القراءة – الاستماع) لأن ظروف الحياة هي التي تفرض عليه هذا. والاستماع يعد أهم وسيلة اتصالية فحتى تفهم الناس من حولك لا بد أن تستمع لهم وبكل صدق.

إن عدم معرفتنا بأهمية مهارة الاستماع تؤدي إلى حدوث الكثير من سوء الفهم الذي يؤدي بدوره إلى إضاعة الوقت والجهد والعلاقات التي نتمنى ازدهارها. ولو لاحظنا مثلاً أن المشاكل

[1]–محمد مروان، أهمية التواصل مع الآخرين، 16 ماي2015 http://mawdoo3.com

الزوجية عادة ما تنشأ من قصور في مهارة الاستماع وإذا كان القصور مشترك بين الزوجين تتأزم العلاقة بينهما كثيراً .. الكل يريد الحديث ولكن لا يريد أحدهم الاستماع.

– إن الاستماع ليس مهارة فحسب بل هو وصفة أخلاقية يجب أن نتعلمها ، "أن نستمع لغيرنا" لا لأننا نريد مصلحة منهم لكن لكي نبني علاقة وطيدة معهم. ولا بد أن نتذكر إذا أردنا فهم الآخرين فعلينا أولاً أن نستمع إليهم ثم سيفهموننا إذا تحدثنا، وإذا كان الاستماع صعب لكنه بالتأكيد خير من سوء التفاهم والخلاف.

* وهناك مهارات لا بد من تعلمها لكي يكون الاستماع فعال. متمثلة فيما يلي:

- **مهارة التركيز**: بمعنى أن تركز كل انتباهك للمتحدث.
- **مهارة الاهتمام:** أن تظهر للمتحدث أنك تستمع له وتتقبل وتفهم ما يقوله.
- **مهارة البحث والسؤال:** بمعنى طرح السؤال المناسب في الوقت المناسب.
- **مهارة التحكم العاطفي:** هي القدرة على اختيار ردود أفعالنا والتحكم فيها.
- **مهارة الحدس:** حوالي 95% من رسالة المتحدث تكون في خبرة الصوت ولغة الجسد، 5% من الكلمات. إذن لا بد أن نتعامل مع الكلمات ولغة الجسد الصادرة من الآخرين.
- **مهارة البناء:** يقوم الدماغ بعدد من العمليات بنفس الوقت حيث يستطيع الاستماع وفهرسة المعلومات ووضعها بترتيب منطقي ومقارنتها بما نمتلك من خبرات سابقة.

أخيراً لا بد من إتباع القواعد المرشدة للاستماع الجيد:

الانتباه للمتحدث – تلافي تأثير العوامل التي تؤثر على الانتباه – مراعاة اللغة اللفظية – الاهتمام بالتعبيرات غير اللفظية – المتابعة – التجاوب – تجنب السرعة في الاستنتاج – تجنب تصنيف المتحدث أو إصدار الأحكام القطعية عليه.

1-5-2 مهارة الحديث المؤثر :

مهارة الاستماع هي الوجه الآخر لمهارة الحديث ومنهما معاً يتحدد طرفي عملية الاتصال الرئيسيين (مرسل – مستقبل) أو (متحدث – مستمع).

خصائص المتحدث المؤثر:

- خصائص شخصية: (الصدق والموضوعية والوضوح، الدقة، القدرة على التذكر، الاتزان الانفعالي، المظهر، القدرة على التعبير الحركي).
- خصائص صوتية: (النطق بشكل صحيح ، وضوح الصوت ، التنوع في الصوت).
- الخصائص الانفعالية: (القدرة على التحليل والابتكار ، القدرة على التعبير، القدرة على الضبط الانفعالي، القدرة على تقبل النقد).
- ومن أهم الأدوات التي تستخدم أثناء الحديث أو الحوار هو **توجيه الأسئلة** فالسؤال أداه إيجابية للحصول على المعارف والمعلومات اللازمة واستنباط الأفكار وتكوين الآراء، ويستخدم السؤال أيضاً لتنشيط المناقشة والمساعدة في اتخاذ القرار.

إذن: في عملية التواصل الناجحة لا بد أن يكون هناك مستمع فعال – حديث مؤثر.

2- اللغة

تعد اللغة من أهم آليات التواصل، ومن أهم تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتعلمات من الأنا إلى الغير، أو من المرسل إلى المخاطب. وهذه اللغة على مستوى التخاطب والتواصل والتمظهر ذات مستويين سلوكيين: لفظي وغير لفظي

مما لاشك فيه أن عمليات التأثير والتأثر والتفاعل الاجتماعي تقوم على عملية الاتصال، وعملية الاتصال هذه تقوم على أساس اللغة، حيث تعتبر اللغة من أهم وسائل الاتصال التي يستخدمها الإنسان في التفاعل مع غيره من بني جنسه ومشاركتهم خبراتهم. وقد أدت مشاركة الغير في خبراتهم والتفاهم معهم باستخدام اللغة إلى قيام مجتمعات، لكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره.

ولما كانت اللغة هي الأداة التي يستخدمها الإنسان في تفكيره والتعبير عن وجدانياته وفهم رغبات الآخرين والتعبير عن رغباته أضحت محل اهتمام العلماء كل يدرسها من زاوية تخصصه. إذ تناولها علماء الأنثروبولوجيا(علم الإنسان) من ناحية الاختلافات اللغوية من موطن إلى موطن، وتناولها المؤرخون وعلماء علم الاجتماع من ناحية التغيرات التي طرأت عليها، وتناولها النحويون واللغويون من ناحية قواعد اللغة وتكوين الجمل وتركيباتها، واهتم بدراستها علماء علم النفس الاجتماعي لما يمكن أن تكشفه عن الوظائف النفسية للإنسان باعتباره الكائن الحي الوحيد الذي يستخدمها، حيث يدرسها العلماء في هذا المجال على أنها الأداة الأساسية لاتصال الإنسان بالغير.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معرفة الإطار المرجعي للآخرين في أثناء تبادل الحديث معهم أمر في غاية الأهمية، ولذا نحن نجد أنفسنا أقدر على فهم أصدقائنا والتجاوب معهم أكثر من فهمنا للغرباء لأن الخبرة المشتركة تؤدي إلى سهولة حل الشفرات المستخدمة.

2-1 - ماهية اللغة:

من حيث الدلالة، ترجع كلمة "**لغة**" في العربية إلى المادة أو الجذر: "لغو"، أو "لغي [1]، وهو جذر يدور حولَ معاني الرَّمْي والطَّرْح والإلْقاء (اللفظ)، وهي معان ظلت مقترنة بهذا الجذر في

[1] – السرقسطي، كتاب الأفعال، إعداد حسين شرف، مراجعة محمد كهدي علام، مجمع اللغة العربية، ط3،ج 2 القاهرة 2002 ص 416.

تصاريف المادة، وحملت معاني الرَّمي وما يتَّصل بها ظلالاً، فيها الزُّهد بالشيء، وعدم أهميَّته، وكونه منبوذا، ذلك أنَّ ما يُرمى أو يُلقى به أو يُطرح يكون كذلك[1].

وقد استعمل العرب كلمة "لغة"، وكلمة "لغات" للدلالة على اللهجات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية، وترتبط كلٌّ منها بقبيلة، أو مجموعة قبائل تعيش في حيِّز جغرافي (الحجاز، اليمن)، وقد تُنسب اللغة إلى القبيلة، لا إلى المكان ، فكانوا يقولون: لغة أهل الحجاز، ولغة أهل اليمن، أو لغة بني تميمم، كما يقولون: لغة قريش، ولُغة هُذَيل، وجاء اللغويون والذين عُنوا بجمع اللُّغة وتقعيدها، فاستخدموا "لغة" الاستخدام عينَه، فإذا ما أرادوا التعبير عن اللغة، من حيث هي لغة القبائل العربية جميعا، استخدموا أيضا "لغة"، و"العربية". غيرَ أنَّ القرآن الكريم لم يستخدم لفظ "**لغة**"، إنَّما استبدل بها لفظ "**لسان**"[2]

تعد اللغة أهم آليات التواصل، ومن أهم تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف والتعلمات من الأنا إلى الغير، من المرسل إلى المخاطب. وهذه اللغة على مستوى التخاطب والتواصل والتمظهر ذات مستويين سلوكيين: لفظي وغير لفظي.[3]

أما من حيث التعريف فقد عرفت **اللغة** عدة تعريفات مختلفة من بينها:

اللُّغة هي وسيلة للتعبير والتبليغ، وهي عبارة عن نسقٍ من الإشارات التي يمكن أن تستعمل للتواصل، ولا شك أن العامل الأساسي في نشأة اللُّغة الإنسانيَة يرجع إلى المجتمع نفسِه وإلى الحياة الاجتماعية، فلولا اجتماع الأفراد فيما بينهم وحاجتهم للتفاهم والتواصُل والتعبير عمَّا يجول بخواطرهم ما وُجدَت لغة، فهي ظاهرةٌ اجتماعية تَنشأ كما يَنشأ غيرها من الظَّواهر

[1] – ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق مجموعة من المحققين، معهد المخطوطات الغربية طبعة جديد، مصر، ب س، ص 6.

[2] – مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، المجمع، القاهرة 1990، ج2/1008.

[3] – جميل حمدواي: التواصل اللساني والسيمائي والتربوي، دار الألوكة ، ط1، مصر، 2005، ص 3.

الاجتماعيَّة، فتنشأ بصورة طبيعية تلقائية، تنبعث عن الحياة الجماعية وما تقتضيه من شؤون[1].

وعلى وجه العموم يشير الكثيرون إلى أن **اللغة** هي القدرة على استخدام الرمز اللفظي بانتظام، وهي تحقق إنسانية الإنسان، ومعنى هذا أن اكتساب النظام الرمزي خاصية إنسانية، كذلك يمكن القول أن اللغة هي الإنتاج الأكثر غموضاً للعقل الإنساني، والأعظم خطورة – في نفس الوقت–وما بين الإنسان والحيوان من فرق يعود أساساُ إلى استخدام الإنسان للغة، وفي الكلمة يرقد السر الأعظم للقدم الإنساني، وبدون اللغة لا يستطيع الفرد أن يُكِون أفكاراً أو يعبر عنها.

ويمكن للإنسان أن يتصل بالأشياء – مثله في ذلك مثل الحيوانات الأخرى– بالتذوق ، أو اللمس، أو الشم، أو الرؤية...الخ، لكن الإنسان علاوة على ذلك يمكنه أن يتصل بهذه الأشياء باللغة، وهو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه.[2]

2-2 خصائص اللغة:

مما سبق يمكن أن نميز **الخصائص** التالية للغة:

1- اللغة سمة إنسانية، أي خاصة بالإنسان وحده، وهي على هذا يجب أن تكون دائماً في خدمة أهدافه وأغراضه الحقيقية، وأنها ترتبط بنموه اجتماعياً، واقتصاديا ، وفكريا، فرقي الفرد مرتبط إلى حد كبير بنمو لغته ونهضتها.

[1]- .علي عبدالواحد وافي: نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دار النهضة للنشر ،ب ط، مصر، يوليو 200، ص 29.

[2]-فيصل الحفيان: العلاقة بين اللغة والهوية ، الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ الإضافة: 2009/9/5 م - 1430/9/15 هـ.
http://www.alukah.net/literature_language/0/7343/#ixzz4f1jtcMX

2- اللغة صوتية، وهذه الخاصية تعني أن الطبيعة الصوتية للغة هي الأساس، بينما يجئ الشكل المكتوب لها في المرتبة التالية من حيث الوجود، وعلى هذا فتعليم اللغة يبدأ بالشكل الشفوي ألأذني، وهذا ما يحدث بالنسبة للطفل، وما يحدث في المدارس الحديثة في تعليم اللغات ، إذ تبنت هذه المدارس ما يُسمى بالمدخل ألأذني الشفوي ، ولو أن هناك جدلا حول هذا المدخل في السنوات الأخيرة.

3- اللغة تحمل معنى، ومعنى هذه الخاصية أن اللغة تتكون من رموز لها معانٍ، وهذه الرموز يعرفها كل من المتكلم والسامع و القارئ، وبدون هذه المعرفة الثابتة للمعاني يصبح التواصل صعبا – إن لم يكن مستحيلا– وينبغي أن يكون واضحا أن الصلة بين الرمز والشيء الذي يعنيه صلة عرفية، أي ليست طبيعية.

2-3- الفرق بين اللغة واللهجة:

لا شك أن هناك فرق في الحجم بين الاثنين ، فاللغة أكبر من اللهجة، حيث أن اللغة تحتوي على بنود أكثر من تلك التي تحتويها اللهجة، وهناك أيضا اختلاف في مسألة الاعتبار، فاللغة لها اعتبار وهيبة ينعدم وجودها في اللهجة، واللهجة هي عبارة عن تلك المتغيرات التي تحدث للغة الأساسية التي تنتمي إليها تلك اللهجات.[1]

وعلى الرغم من ذلك فإن علم اللغة لا يفرق مبدئيا بين الاثنين، أي بين لهجة Dialect ولغة Literary Language ، فكل لهجة هي لغة قائمة بذاتها، بنظامها الصوتي وبصرفها وبنحوها وبتركيبها وبمقدرتها على التعبير، وقد يعترض أحد الناس على هذا ازعم بقوله أن الفرق بين اللهجة واللغة هو في الأدب، فاللغة هي التي لها الأدب، أي أن الأدب مقياس للتفرقة ولكن هذا الزعم غير دقيق فلهجات الزنوج والهنود الحمر على سبيل المثال لها أدبها

[1]- مها محمد فوزي معاذ: الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، ب ط، الازاريطة ، مصر، 2005، ص 148

وشعرها ونثرها وأساطيرها، وقد يختلف هذا الأدب في غناه الروحي والجمالي عم آداب الشعوب الراقية، ولكن ذلك راجع لأثر الثقافة في المجتمع... والحقيقة أنه لا يوجد فارق جوهري بين لهجة ولغة ما، وإنما الفارق هو أن لهجة ما ولسبب خارجي ولظروف خاصة تعتبر لغة قومية رسمية، بينما لهجة أخرى وربما أفضل منها لا يُعترف بها، فلو أن التوراة الألمانية ترجمت إلى لهجة برلين، لكانت لهجة برلين الألمانية هي الفصحى، لا لهجة هانوفر [1]

2-4- اللغة والهوية:

اللغة أقدم تجليات الهوية، أو لنقل "هي التي صاغت أول هوية لجماعة في تاريخ الإنسان، إن اللسان الواحد هو الذي جعل من كل فئة من الناس "جماعة" واحدة، ذات هوية مستقلة، ويزداد الاهتمام باللُّغة والهوية معا، ويشيع الحديث عنهما، في المنعطفات أو المفاصل التاريخية في حياة الجماعات، وهي منعطفات أو مفاصل ليستْ من نوع واحد، فقد يكون منعطفًا أو مفصلا حضاريا إيجابيا تصَّاعد الجماعة، أو تثب فيه نحو الحضارة والتقدم، وقد يكون سلبيا تتعرض فيه للانكسار، وتغزوها رياح التشتت والانطماس، وربما الغياب عن ساحة الفعل والتأثير، في كِلا الحالين تبرز قضية اللغة، وقضية الهوية، وفي الغالب يتم الربط بينهما إلى درجة أنهما يكادان يصبحان شيئا واحدا[2].

2-5- اللغة والثقافة:

بين اللغة والثقافة رِباط حميم، ذلك أننا لا نتصور لغة ما بالمفهوم الذي ذكرنا لا تنتج ثقافة، أيا كانت اللغة، وأيا كانت الثقافة، كما أنَّنا لا نتصور ثقافة لا تعتمد في جانب أساس منها على وعاء لُغويٍّ يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها، هما إذا دائرتان متداخلتان لا يمكن أن

[1]- مها محمد فوزي معاذ : مرجع سابق، ص149.

[2]-فيصل الحفيان: العلاقة بين اللغة والهوية ، مقال سابق

نُخَلص إحداهما من الأخرى، نقول ذلك دونَ أن ندخل في تعريفات الثقافة وتوجهاتها، فليس هذا موطنَه، إذ ما يهمنا أن نؤكد على نقطة مهمة، هي: أنَّه إذا كانت اللغة هي الفكرَ الذي يتفاعل مع الأشياء، ويقف منها أو معها مواقفَ محددة، فإن الثقافة هي أيضا ذلك الشيء، أو تلك الأشياء المتشابكة، وغير الملموسة التي تُملي عليه طرائقه في التعامل مع الأشياء، وتحدِّد استجاباته تُجاهها، نحن إذًا أمام وجهين لشيء واحد، قد تكون الثقافة أعم، إذ اللغة عنصر مهم للغاية في بنائها، وتوجيه مسارها، على أنَ للثقافة دورَها الخطير في التأثير في اللُّغة باعتبارها فكرًا، واللغة والثقافة معًا ليستَا نابعتَين من داخل الإنسان، أو ليستا فرديتين، لكنهما جزء من حراك الوسط الذي يعيشان فيه، ومِن هنا تأتي التفرقة الضرورية بينهما، وبين العلم "الثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يمكن أن يقاس الفرق الضروري بين الثقافة والعلم.[1]

2-6- اللغة والتواصل:

وإذا كانت الصلة بين اللغة والثقافة قد تشابكت بالقدر الذي افترقتَا (اللغة والثقافة) عن العلم، فإن ثمَّة فارقًا أساسيًّا أيضًا بين اللغة وإحدى وظائفها الأساسية (**التواصل**)، فعلى الرَّغم من أهمية هذه الوظيفة وحيويتها وضرورتها، فإنَّها – مجردة – ذاتُ قيمة محدودة، لأنها متحقِّقة بين الكائنات الأخرى الحية بالقدر الذي تحتاجه ويكفيها، فـ"التواصل" في حد ذاته ضروري، لكن أهميته الجوهرية تنبع من تأثيره المباشر عندما يرتد إلى الفِكر، ويغير في طرائقه، إنه (التواصل) جزء مهم من المحيط الذي يبني القِيَم والمشاعر والأفكار ويُشكِّلها، ويعطيها مذاقَها وخصوصيتها، ويصبغها بصبغته الفارقة، وهذا ما يعيدنا مرة أخرى إلى "اللغة" التي ترتبط بعقل

[1]– **مالك بن نبي**" :شروط النهضة"، ترجمة عبدالصبور شاهين، وعمر كامل مسقاوي، دمشق، دار الفكر، 1406 هـ – 1986م، ص 82.

الإنسان وفِكره أكثرَ ممَّا ترتبط بلسانه وعلاقاته بالآخرين، كما يذكرنا بالثقافة، بالمفهوم الذي ذَكرْنا، لا بوصفها كمًّا من المعلومات والمعارف التي تجتمع في داخلِ الإنسان أو المجتمع.[1]

2-7- أدوار اللغة في الحياة الإنسانية:

تؤدي اللغة دورا مهماً في الحياة الإنسانية وفي التواصل الاجتماعي لا يدانيها في ذلك أية وسيلة أخرى من وصائل التواصل الإنساني كالرموز، والإشارات، والصور والرسوم...الخ، ولذلك يُعرف الإنسان بأنه حيوان رمزي، أي يستخدم اللغة. كما تعد اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية التي أنتجها التطور البشري، وهي مركب معقد، وترتبط ارتباطاً عضوياً بجميع المعارف الإنسانية.

وتلعب اللغة دوراً مهماً في تحقيق المنزلة العليا للإنسان بين الكائنات الأخرى، وهي على خلاف الأشكال الأخرى للحياة الإنسانية، قد تطورت بسرعة في فترات متلاحقة، وهي – في تطورها– تزود الأجيال الإنسانية بالأدوات الفعالة للتقدم والتطور. ومن هنا نستطيع أن نقول: إن اللغة أدت للإنسانية خدمات جليلة، بل إن الوجود الإنساني مرتبط باللغة، إذ لا يوجد شخص عادي دون الاستعداد لتعلم اللغة، وأكثر من هذا ، فإن الكائنات الأخرى ليس لديها هذا الاستعداد الفسيولوجي لاستقبال اللغة وإنتاجها، وقد أنعم الله على الحضين البشري وحده بنعمة النغاء أو المناغاة، وقد حاول الكثير من العلماء إنطاق القرد بعض الكلمات، لكنهم فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، وما ذلك إلا لأن القرود ليس لديها الاستعداد الفطري لتعلم اللغة.

[1]– فيصل الحفيان، العلاقة بين اللغة والهوية، شبكة الألوكة ، مقال سابق
/http://www.alukah.net/literature_language

وقد عرف الإنسان بأنه حيوان رمزي ، أي لديه القدرة على استقبال الرمز اللغوي، وإنتاجه واستخدامه، كما عرف المناطقة الإنسان بأنه حيوان ناطق، وهمك يقصدون بذلك أنه قادر على استعمال لغة صوتية ذات مقاطع، وكلمات، وجمل للتفاهم مع غيره من بني جنسه.

ويرى علماء الاجتماع وغيرهم أن لغة الحيوان غريزية، وهي مجموعة من الأصوات والحركات والإشارات المحدودة، التي يُعبر بها الحيوان عن حاجاته الضرورية وانفعالاته.

وعلى الرغم من عدم وجود لغة ذات مقاطع عند الحيوانات، فإنها تستطيع التفاهم بما تصدره من أصوات ذات معانٍ خاصة، وإشارات ذات مغزى خاص.

من كل ما سبق نرى أن الله سبحانه وتعالى ، قال في سورة الرحمن:﴿ **الرحمَنُ (1) عَلمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلمَهُ الْبَيَانَ(4).﴾[سورة الرحمن: الآيات من 1 –4].**

وفي تفسير الآية الخيرة ، قال **الشيخ حسنين مخلوف** في تفسيره" **صفوة البيات لمعاني القرآن**" : " مكن الله الإنسان بالبيان من التعبير عما في نفسه بالمنطق الفصيح، ومن فهم بيان غيره، فتميز بذلك عن الحيوان، واستعد لتلقي العلوم والخلافة في الأرض، وهذه نعم عُظمى توجِب الشكر والتعظيم لله تعالى".

ويمكن تلخيص أهم أدوار اللغة في الحياة الإنسانية فيما يلي:

1– تنمية التواصل الاجتماعي.

2– تنمية الفكر.

3– المؤانسة والإمتاع.

4– تنمية القدرات التعليمية الدراسية.

5– توثيق الفكر الإنساني .

6- تبادل الفكر والرأي.

* إن اللغة بلا شك هامة في حياة كل فرد، هي العامل الأساسي في قيام الصداقات والعلاقات، هي التي من خلالها يتكلم معك طبيبك عن مرضك، والتي عن طريقها يشرح لك مدرسك ما تريد فهمه ويوصله إلى عقلك، هل التي يستخدمها كل من أهلك وأصدقائك .. حينما يحاولون مساعدتك في **حل مشاكلك**، حتى في وسائل الإعلام فإنهم يرفهون عنك من خلالها، ورجال الشرطة يرشدونك عن طريقها...الخ، هي وبلا شك **محور حياة الإنسان**.[1]

ولكي تؤدي اللغة هذه المهام، تقوم المدرسة بدور مهم في تعليم اللغة، ويخصص لعليم اللغة وقت مناسب يتفق مع الطالب المشار إليها من قبل. وإذا لم تتحقق القدرة اللغوية لدى التلاميذ في السنوات الأولى، فإن جانباً من كبيراً من التلاميذ يتسربون من المدرسة، علاوة على شيوع الإحباط لدى المتعلمين، وعجزهم عن مواصلة الدراسة، بالإضافة إلى ذلك العجز عن بناء مواطن قادر على التفاعل مع أبناء وطنه.

ويناط إلى المدرسة الابتدائية، وبمدرسيها القيام بهذه المهمة، مهمة تعليم اللغة القومية وتنمية قدراتها لدى التلاميذ، ويتعلق هذا بأمرين مهمين، هما :

* فنون اللغة الأربعة: الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة.

* علوم اللغة: النحو، والصرف، والبلاغة.[2]

ويعتبر كل معلم في المدرسة الابتدائية مدرساً للغة، ولا نبالغ إذا قلنا :" إن وظيفة المدرسة الابتدائية، ترتبط أساساً بتعليم اللغة القومية، وتنمية مهاراتها وعلومها.

---

[1]- مها محمد فوزي معاذ، مرجع سابق، ص 15.

[2]- فتحي علي يونس : مرجع سابق ص 4، ص 21

2-8 وظائف اللغة :

اختلف العلماء وتباينت آراؤهم فيما يتعلق بوظيفة اللغة، والأغراض التي تؤديها وسوف نعرف فيما يلي أهم هذه الآراء:

1. اللغة وظيفتها التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات.
2. اللغة وظيفتها تصريف شئون المجتمع الإنساني.
3. وهناك البعض من يفصل الوظيفتين السابقتين للغة فيما يليمن وظائف:

- تنسيق الأنشطة بين أعضاء المجتمع.
- تثبيت الفكر والتعبير عنه.
- إيصال الأفكار والمشاعر.
- إمتاع النفس وتقليل الاضطراب.

4. وعن الوظيفة الرابعة، يقول **يسبرسن** :" بالخبز وحده لا يعيش الإنسان، فاللغة لها وظائف أخرى–علاوة عن كونها أداة للتواصل_ هي لا تستخدم فقط في لكلام، بل في الغناء أيضا... فأحيانا لا تؤدي اللغة وظيفة حل المشكلات، بل لها وظائف أخرى، فهي وسيلة من وسائل الراحة، وتقليل الاضطراب، وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركونه الحديث، وٌامة علاقات يبينهم، تنأى عن التقليدية.

معنى ما سبق أن للغة وظائف متعددة، اجتماعية وفكرية ونفسية، كما أن هناك وظيفة أخرى مهمة وهي وظيفة التوثيق، أي تسجيل الأحداث والتاريخ والحقائق والمعارف...الخ،

التي مرت بالإنسان، وتمر به، أو سيواجهها في المستقبل، فالإنسانية مدينة بالتوثيق اللغوي بكل ما لديها من معارف. [1]

2-9- وظائف اللغة:

وظائف اللغة: اللغات لها وظائف عديدة نذكر منها:

1. إنها وسيلة للتواصل والاتصال بين الناس.
2. إنها وسيلة للتعبير عن مشاعر وأفكار وآراء الإنسان للآخرين.
3. إنها وسيلة للتعبير عن احتياجات ومطالب ومشكلات الإنسان للآخرين.
4. إنها وسيلة لتحقيق الفهم المشترك بين الإنسان والآخرين.
5. اللغة لها تأثير كبير على نظرة الإنسان للعالم.
6. إنها وسيلة للتعبير عن مشاعر وأفكار وآراء الإنسان للآخرين.
7. إنها وسيلة لتحقيق الفهم والمشترك بين الإنسان والآخرين.
8. اللغة لها تأثير كبير على نظرة الإنسان للعالم.

وتعتبر اللغة – كما يشير محمد عاطف غيث – جزءاً من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت.

هذا وتتحول الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار، والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل إلى آخر.

[1] – فتحي علي يونس: مرجع سابق ، ص 08.

واللغة نتاج اجتماعي، تمثل التجارب المتراكمة والراهنة، والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة. بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي، والتفكير، ومعرفة الذات، ومعرفة الآخرين، وهي لذلك ضرورية للوجود الاجتماعي.

ويحاول علماء اللغويات تحديد بعض الصفات الجيدة التي يجب أن تتوفر في أي لغة حتى تستمر وتنتشر وتؤدي وظائفها، نذكر منها:

الأصالة. المرونة.المعاصرة. التراكم. التطور.الاستفادة من اللغات الأخرى.استفادة اللغات الأخرى منها. تأثر اللغة بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها العقلية.[1]

2-10- اللغات عبر العالم:

حسب **كلود هجاج** (C.Hagége) يبلغ عدد اللغات في العالم جوالي الخمسة آلاف، إذا ما احتسبنا جميع اللهجات المحلية التي تشكل أداة تفاهم بين الجماعات البشرية.

في أوروبا ، يبدو أن أقدم اللغات هي الباسك التي لا تنتمي جذورها إلى الهندو –أوروبية. كانت اللغات الهندو أوروبية تضم اللاتينية التي تولدت منها اللغات الرومانية التي تغطي أكثر أجزاء جنوب أوروبا (من البرتغال إلى رومانيا). بقي من اللغات السلتية لغة ايرلندة واسكتلنده والغالية والبريطانية في فرنسا. وتشمل اللغات الجرمانية على الاسكندينافية والألمانية والبريطانية القديمة التي أنجبت الانكليزية، وتضم المجموعة السلافية الروسية وأغلب لغات أوروبا الوسطى. أما في آسيا، فتشمل اللغات الهندو –أوروبية الفارسية والكردية والبلوشية وعدد كبير من لغات الهند، من بينها الهندية. إذا ما أضفنا إلى ذلك الأرمينية والألبانية واليونانية نحصل على لوحة شبه كاملة لجميع التشعبات الهندو– أوروبية.

[1]– أهمية ووظائف اللغة، موقع التنمية البشرية http://thehumandevelopment.net

تنحصر اللغات السامية المعصرة بالعبرية والعربية. حصل تشعب لفرع منها في القرن الافريقي أعطى بين لغات محلية أخرى، الأمهرية في أثيوبيا، واللغات الحامية تنتمي إلى نفس العائلة: البربرية والهاوسا واللغات الصومالية والعفرية ولغة غالا.

يوجد في أفريقيا السوداء عدد كبير من اللغات المتقاربة التي تشكل المجموعة المسماة نيجر – كنغو – كوردوفانية، مع مجموعات أخرى في أفريقيا الغربية، وواحدة فقط في الجنوب، أي مجموعة البانتو المنتشرة من الكاميرون نحو الغرب دافعة أمامها لغات " الطقطقة" التتي يتحدث بها الهوتانتوت والبوشيمان. في وسط إفريقيا نستطيع تصنيف لغات النيل وعددا من المجموعات الأخرى.

تلك اللغات هي فاحشة الثراء حسب ويسترمان، النعت "كبير" يمكن أن يترجم بـ 183 كلمة في لغة النوبا، و311 كلمة في الهاوسا. لقد تسرع البعض في الانطلاق من هذا الغنى بالمفردات الحسية لكي يستنتجوا عدم قدرة الشعبين المذكورين على التجريد والتعميم. والواقع هو أن التجريد يحصل، ولكن من خلال أشكال إدراكية لم تقم اللغات الأوروبية بعزلها دائما...

إن التوزيع الجغرافي للغات، ووجود فئات معزولة أو تجمعات، يشهدان على أن هناك تاريخا للشعوب نحن غافلون عنه في أغلب الأحيان، ولكنه تاريخ لا يمكن أن يغفل عنه عالم الأنثروبولوجيا بقدر ما تكون تلك الأحداث شاهدة على التكوين ألاثني للجماعات. تحت هذا العنوان، تصبح اللغات نبعا بالغ الأهمية للمؤرخ ألاثني، نبعا يفيض بالمعلومات القيمة عن التراث المحكي.[1]

[1]– فيليب لابورت تولرا، جان بيار فارنييه: إثنولولجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت – لبنان،2004، ص268..

2-11- اللغة الفرنسية في أفريقيا وضعفها:

في أفريقيا الفرنسية كلغة رسمية لـ32 بلد أفريقي وهي الدول التي كانت **محتلة** من فرنسا أو بلجيكا بالرغم من وجود لغات محلية إلا أن السلطات تستعمل الفرنسية بلدها وهذا الأمر الواقع ، وأكبر بلد يحتوي الناطقين باللغة الفرنسية هو **الكونغو** بـ24 مليون متحدث، وفي **مالي** 63%، **والكاميرون** 18%، وفي **بوركينافاسو** 54%، من المدارس مفرنسة، وفي **تشاد** نجد أن للطلاب الحق في اختيار لغة التمدرس بين العربية والفرنسية، وفي **الغابون وزامبيا** أيضا.

تعد اللغة الفرنسية **اللغة الثانية** في دول **المغرب العربي** باستثناء **ليبيا** التي تستعمل الانجليزية، وتستعمل الفرنسية في **المغرب** بشكل واسع في الإدارة والتجارة والتعليم العالي وتكاد تكون مهيمنة على العربية اللغة المدسترة، وفي **تونس** تستعمل بشكل واسع. أما في **الجزائر** فنصف الجزائريين يتكلمون الفرنسية ويتعلمونها في المدارس وتدرس بها الشعب العلمية كالطب والهندسة والإلكترونيك، واستعمالها يثير جدلا كبيرا في البلاد.

أدى صعود الـ **و م أ** كقوة هائلة إلى انتشار الإنجليزية التي استطاعت أن تخترق الفرنسية في عقر دارها وفي أماكن انتشارها، وتقول الدراسات أن 90% من البحوث العلمية تصدر بالانجليزية يقابلها 3% فقط بالفرنسية، وهذه الأرقام تبين بوضوح انحدار الفرنسية وأفولها وضعف مقاومتها للعولمة وهذا ما جعل العديد من الدول تتصرف للانجليزية كـ **سوريا ورواندا والفيتنام** وغيرها..[1]

2 -12- اللغة العربية والاستعمار الفرنسي في الجزائر:

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki فرنسة_(لغة) من الويكيبيديا

لقد عاشت اللغة العربية في مهدها في الجزيرة العربية ما عاشت من الزمن في عزة أهلها، حتى كانت الهجرة بعيدة المدى التي دفعها إليها الإسلام، فخرجت اللغة مع آلاف من أهلها، فتفرقت معهم اللغة أوازعا، وجعلت هذه العربية تتفاعل مع ما خالطت من لغات، فلا تعطي فقط ، بل كانت تأخذ كذلك، سنة الحياة في اللغات والحضارات الغالبة والمغلوبة، وظل الإسلام يساندها بقوته المعنوية دهرا طويلاً في كل مكان حتى اليوم، لأنها لغة كتابه، ولسان ثقافته، والسبيل الوحيد لمعرفته.

..ولما عزت الممارسة اللغوية ، والتلقي المباشر عن مشافهة، فزعوا إلى الطريقة الثانية، وهي المدرسة، وكسب اللغة بالتعليم... وقامت المدارس، والمراكز الإسلامية، المنبثة في جميع البلاد العربية بدور مهم في الحفاظ على اللغة الفصحى التي تؤدي دورها الضروري في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، وفي تعهد الشعور بالعروبة في صدور أبنائها.

لكن حين دهم العالم العربي بالأتراك، عمد هؤلاء على وأد اللغة العربية في دواوين الحكومة الرئيسة، وقد تأثرت اللغة العربية في هذا العصر بخصائص اللغة التركية تأثرا عظيما، فعُرِبت الكثير من الألفاظ الدخيلة التي استعملها الحكام الأتراك، واستعيرت بعض قواعد اللغة التركية في تصريف الألفاظ أحيانا كثيرة، أما الأسلوب العربي فكان ركيكا عاميا، وقد لجأ متأدبوا ذلك العصر إلى السجع طويل الفقرات، وبالغوا في استعمال المحسنات البديعية من جناس وتورية في عبارة سقيمة عقيمة والأفكار، فمسخوا البلاغة العربية، مما ذهب برونقها، وبلبابها مبنى ومعنى، وعكفوا على ستر ضعفهم بعبارات وأساليب اختلسوها من بطون كتب الأدب القديمة اختلاسا بيِناً.

لقد تعرضت اللغة العربية في عهد الاحتلال لأزمات كادت تعصف بها لولا يقظة جمهرة كبيرة من الكتاب والمفكرين نذرا أنفسهم للدفاع عنها، ومقاومة جهود الاحتلال الخبيثة في إزاحتها وإحلال لغته محل اللغة العربية بجعل لغته لغة التعليم لفترة من الزمن، ففي الجزائر –

مثلا- كانت لغة التعليم الرسمية اللغة الفرنسية، كذلك البرامج لم يظهر فيها أثر للجزائر سوى لمحات من التاريخ والجغرافية نتيجة الخضوع لنظام السياسة الاستعمارية، أما حظ اللغة العربية فكان حظ **اللغة الأجنبية**، فما كان يخصص لها في بعض المدارس الابتدائية سوى ساعات محدودة لتعليم الحروف الهجائية، وفي المدارس الثانوية كانت العامية تزاحم الفصحى، وتدرس العربية بالفرنسية، وفي الواقع ، كانت إرادة النظام الاستعماري وضع اللغة الفرنسية وق العربية واعتبارها (الفرنسية) لغة رسمية وحيدة في التعليم والإدارة قاصدا محو اللغة العربية من القطر الجزائري.[1]

2-13- تدني مستوي التلاميذ في اللغات الأجنبية:

لا يزال عجز التلاميذ في التحصيل العلمي الجيد للغات الأجنبية وخاصة الفرنسية متواصلا، ودائما ما تسبب في نتائج كارثية خاصة لدى تلاميذ الأقسام النهائية في الأطوار الثلاثة، فعلى الرغم من الإجراءات التي تقوم بها وزارة التربية الوطنية من أجل رفع مستوى التلاميذ ومساعدتهم على إتقان هذه اللغات إلا أن المشكل لا يزال قائما، وهو ما تعكسه النتائج المسجلة هذه السنة (2010) سواء في المتوسط أو الابتدائي، فقد شهدت **بعض الولايات** تأخرا كبيرا بسبب اللغة الفرنسية على غرار **ولاية الجلفة**، ومن ضمن آخر الإجراءات التي قررتها الوزارة بداية من الدخول المدرسي المقبل، برمجة مادة تعليمية جديدة لتلاميذ الطور الثانوي تتمثل في الترجمة التعليمية التي تساعد التلميذ، حسب الوزارة، في إتقان اللغة بإدراج اللغة العربية في تعلمها، إضافة إلى قيام الوزارة ببرمجة تدريس اللغة الفرنسية بداية من السنة الثالثة ابتدائي، ومن المنتظر أن يتم تدريسها بدء من السنة الثانية، لكن هل يمكن لكل هذه الإجراءات وغيرها أن يكون ناجعا لضمان رفع المستوى؟ وهل يكمن المشكل في تقديم سنة في تلقين اللغة

[1]- فتحي علي يونس، مرجع سابق ، ص 19-20.

الفرنسية؟ أم أن هناك مشكلا آخر، قد يتعلق بمستوى الأساتذة والمعلمين، أو بالإصلاحات في حد ذاتها؟[1] .

..يرى أحمد خالد (رئيس إتحاد جمعيات أولياء التلاميذ): أن ضعف مستوى التلاميذ راجع إلى نقص تكوين الأساتذة و المنهجية البيداغوجية المتبعة يعتقد أن المستوى الضعيف للتلاميذ في اللغة الأجنبية راجع إلى سياسة التعليم التي انتهجتها **الجزائر** منذ السبعينيات، حيث لم يمنحوا في ذلك الوقت أهمية لتعليم اللغات الأجنبية، واكتفوا باللغة العربية من خلال سياسية التعريب، ولكن بعد ذلك اهتمت **الجزائر** بتعليم اللغات الأجنبية لكن بطريقة بيداغوجية غير صحيحة، أدت إلى تكوين جيل من المعلمين والأساتذة غير قادرين على التعليم، إضافة إلى ذلك المستوى الضعيف للتلاميذ بسبب عدم وجود تكوين للأساتذة والمعلمين في هذه اللغات، خاصة في ظل المنظومة التربوية **الجديدة**، لكن يجدر بنا ألا نرمي بكامل المسؤولية على الأساتذة، حيث للتلاميذ نصيب من المسؤولية فهم في أغلب الأحيان يرفضون دراستها، خاصة بعد المنهجية التي تتبعها مثل اختيار النصوص التي تجعل التلميذ ينفر من هذه المادة، ولهذا يجب على وزارة التربية الوطنية إتباع منهجية بيداغوجية محكمة لمساعدة التلميذ على تحصيل علمي جيد للغات الأجنبية، ومحاولة تجاوز الإيديولوجيات القديمة.

أما **بوجناح عبد الكريم** (رئيس النقابة الوطنية لعمال التربية) قال بأن الوزارة تعتبر التلاميذ فئران تجارب لهذا لا يمكن أن يرتفع مستواهم في اللغات الأجنبية، الخلل يكمن أساسا في السياسة التي تتبعها وزارة التربية الوطنية في تعليم اللغات الأجنبية، حيث في كل مرة تخرج بقرارات وتعليمات جديدة، إما بإدراج مادة تعليمية جديدة أو تقديم سنوات الدراسة لهذه اللغات، خاصة الفرنسية منها، وهو ما يعني أن الوزارة جعلت التلاميذ في كافة الأطوار فئران تجارب،

[1]- صارة ضويفي، سارة بوناب: تدني مستوى التلاميذ في اللغات الأجنبية، نشر في الجزائر نيوز يوم 21 – 07 – 2010. موقع جزايرس .

وعند تأكدها من وعدم نجاعة النتائج تتراجع عنها، ذلك ما يحدث منذ بداية الإصلاحات ، وحتى وإن قامت الوزارة ببرمجة تدريس اللغة الفرنسية بداية من السنة الثانية ابتدائي فإن ذلك لن يرفع المستوى التعليمي، وإنما بالعكس سيزيد من تدهوره، حيث اعترف الوزير بأن هناك نقص في معلمي وأساتذة اللغة الفرنسية، فهل يوجد معلمون يدرسون تلاميذ الثانية إبتدائي ويكون لهم تكوين خاص بهذه الفئة، إضافة إلى ذلك إدراج مادة الترجمة التعليمية في الثانوي لن يساعد التلاميذ، فالأجدر أن يتم إدراجها في الطور الابتدائي .[1]

14-2-أهمية تعلم اللغات الأجنبية:

تعتبر اللغات أحد أهمّ الاختراعات، بل يمكن عدّها الاختراع الأهم الذي قام البشر بإيجاده في التاريخ الإنساني بأجمعه، إذ إنّ اللغات هي المفتاح الأساسي لتواصل البشر مع بعضهم البعض وتبادل الأفكار والمشاعر وغيرها من الأمور المختلفة والتي لولا الكلمات لما استطاع أي شخص على أن يفهم الآخر، ولا تمكن أي روحان أن يندمجا مع بعضهما البعض في أي عمل من الأعمال، ولا وجدنا العديد من الاختراعات التي نجدها في أيامنا الحالية كالإنترنت على سبيل المثال، والتمكنّ من لغة واحدة والتي هي اللغة الأم يعتبر أمراً ضرورياً لأي إنسان كي يعيش على سطح الكوكب، إلّا أنّ إتقان عدّة لغات يعتبر أحد الأسلحة المهمّة للنجاح والتي تمكن ممتلكها من فتح العديد من الأبواب المغلقة أمامه والدخول إلى قلوب البشر بالتحدث إلى

[1]- صارة ضويفي، سارة بوناب:مرجع سابق. موقع جزايرس .
http://www.djazairess.com/djazairnews/17392

كلّ شخص بلغته الأم، فكما قال **نيلسون مانديلا:**" **إذا تحدثت إلى رجل بلغة يفهما فإنها تسري إلى رأسه أما إذا تحدثت إليه بلغته فإنها تسري إلى قلبه**".[1]

كما أنّ تعلم اللغات المختلفة تساعدنا على الحصول على المعلومة بشكل أكبر وأدق وأوسع، وخصوصاً مع تطور العلم بشكل كبير بحيث أسبح العلم لا يقتصر على أصحاب لغة معينة، وبوجود الانترنت الذي أصبح يفتح المجال للناس من مختلف الأقطار بالتواصل مع بعضهم البعض، ولكن كيف لهم أن يقوموا بالتواصل مع بعضهم كتابة أو صوتاً إذا كان كل واحدٍ منهم لا يتقن سوى لغته الأم؟ فاللغات تساعد على اكتشاف الحضارات والتعمّق في جذور تاريخها، فتستطيع بتعلم لغة حضارة معينة أن ترى هذه الحضارة من زوايا مختلفة، كما أنّك بتعلم لغات الحضارات تكون قد حصلت على تاريخ هذه الحضارة واستطعت فهم ما مرّ به سكان البلد، فاللغة تولد من مجموعة من البشر وتتطور معهم كما يتطور عقل الإنسان مع صاحب، فتنموا بنموهم وتندثر باندثارهم، وتتغير مصطلحاتها وفقاً لما عاشوه فتدخل عليها مصطلحات أجنبية على سبيل المثال في حال وقوع أهلها في الاستعمار، أو يكثر اللحن فيها وتتعدد لهجاته على اتساع رقعة دولتها ودخول أطياف أخرى عليه.

كما أنّ للغات وتعلمها آثار عديدة على الإنسان بذاته وعلى طريقة تفكيره، إذ إنّ تعلم اللغات يساعد على تقوية الذاكرة وعلى القرة على القيام بعدة مهام في الوقت نفسه، كما أنّها تخلق للشخص طرقاً جديدة للتفكير، وتساعده على سماع اللغات المختلفة والأصوات بشكل أفضل بالإضافة إلى تنميتها للدماغ وزيادة انتباه، فاللغة الجديدة تفتح أمامك عالماً جديداً أو كما قال شارلمان:" التمكن من لغة أخرى، هو مثل الحصول على روح ثانية[2]."

[1]– إبراهيم أبو غزالة، ما أهمية تعلم اللغات الأجنبية، موضوع . كوم، نشر يوم 6 فيفري 2015 .
http://mawdoo3.com

[2]– إبراهيم أبو غزالة، مرجع سابق.

خلاصة الفصل:

نظرا لنمو واتساع مدارك الإنسان المتزامن مع تطور وتعقد المجتمعات الإنسانية، انفرد عن بقية الكائنات بالقدرة على التفكير المنظم، الأمر الذي أدى بانفراده أيضا عن بقية الكائنات بصنعه لغة معقدة ومتطورة لديه، يستطيع من خلالها التفاهم وتوصيل الأفكار ونقل المعلومات وتبادلها مع الآخرين، بل ونقل التراث الإنساني عبر الأجيال فاللغة وليدة الثقافة وأحد مكوناتها . فاللغة أداة للتفاعل الاجتماعي ولنمو الفرد ونمو المجتمع وأعظم ما ابتدعه الإنسان إذ بواسطتها قامت التنظيمات الاجتماعية، وتقاربت الشعوب والحضارات. لا غنى لنا عنها في حياتنا.